بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

**أما بعد**: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

**ثم أمّا بعد:**

فأحمد الله أن يسر لي هذا اللقاء بكم، مساء الأربعاء ١٢ من شهر رجب لعام ١٤٢٦هـ، في مدينة الطائف بمسجد ابن عباس، في هذه المحاضرة التي بعنوان:

## «شبهات حول التوحيد»

وقد أدرت المحاضرة علىٰ ثلاثة محاور، وهي التالية:

**المحور الأول**: في شرح عنوان المحاضرة والتعريف به.

**المحور الثاني**: في ضوابط بحث مثل هذه الموضوعات.

**المحور الثالث**: في الكلام عن بعض الشبه المثارة حول التوحيد اليوم.

وقد اعتمدت في سبك هذه المحاضرة علىٰ ألفاظ أهل العلم وعباراتهم، فما أنا

إلا جامع لها، ومعيد ومقرر لكلامهم رحم الله الأموات منهم، وحفظ الأحياء بعفوه وعافيته.

**وإليكم البيان:**

* * *

# المحور الأول
# في شرح عنوان المحاضرة والتعريف به
# ( شبهات حول التوحيد )

**معنى الشبهة:**

**قال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة»:** (شبه) الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ علىٰ تشابُه الشّيء وتشاكُلِهِ لونًا وَوَصْفًا. يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه. والشّبَهُ من الجواهر: الذي يشبه الذّهَب. والمُشَبِّهَات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمرانِ، إذا أَشْكَلَا.

**قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ~:** «والشبهة هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عينًا كان أو معنىٰ. قال: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة، من الآية: ٢٥] أي: يشبه بعضه بعضًا لونًا لا طعمًا وحقيقة. وقيل: متماثلًا في الكمال والجودة....... وقوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران، من الآية: ٧] والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنىٰ. فقال الفقهاء: المتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده» اهـ[1].

والشبهات جمع شبهة، وسميت شبهة لأنها مبنية علىٰ ما يظنه أصحابها دليلًا علميًّا فتشبه الحق، والحقيقة ليست كذلك، فالشبهة عبارة عن تشبيه الباطل بالحق، فإذا شبّه الباطل بالحق من جهة أن الباطل يظن أن له دليلًا وبرهانًا، فيعارض به الحق، صار هذا الباطل بما يظن معه من الدليل شبهة.

---

(١) المفردات ص٢٥٤.

والشبهة والمُشَبَّهة هي المسائل المعضلة أو المشكلة التي تلتبس علىٰ الناس كما جاء في بعض ألفاظ حديث النعمان بن بشير المشهور، قال: «**الحَلَالُ بَيِّنٌ، والحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشَبَّهات**» أو «**مُشْتَبِهَاتٌ**» سميت مشبَّهة ومشتبهة لأنّ الأمر فيها يشتبه علىٰ الناظر فيه، وهكذا الشبهة تُلقىٰ؛ يلقيها الشيطان أو يلقيها أعوانه أو تأتي في الذهن فيشتبه معها الحق ويشتبه الباطل معها بالحق، فيصبح الأمر غير واضح بها.

**أهمية كشف الشبهات:**

إنّ إزالة وكشف الشبهات من أصول هذا الدين؛ لأن الله جل وعلا رد علىٰ المشركين في القرآن ودحض شبهاتِهم وأقوالَهم، قال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾ [الشورىٰ: ١٦].

وكل من يجادل بالباطل ليست له حجة أو علم، لكن يحتج بأمور يظنها علمًا، فحجته داحضة.

**الرد على أهل الباطل باب من أبواب الجهاد:**

والذب عن الإسلام، وباب الرد علىٰ أهل البدع والباطل، باب من أبواب الجهاد؛ وقد سمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الرد علىٰ الكافرين في العهد المكي جهادًا، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾ [الفرقان: ٥٢].

**ويقول ابن تيمية** ~: «والمناظرة تارة تكون بين الحق والباطل؛ وتارة بين القولين الباطلين لتبين بطلانها أو بطلان أحدهما أو كون أحدهما أشد بطلانًا من الآخر؛ فإن هذا ينتفع به كثيرًا في أقوال أهل الكلام والفلسفة وأمثالهم، ممن يقول أحدهم القول الفاسد، وينكر علىٰ منازعه ما هو أقرب منه إلىٰ الصواب؛ فيبين أن قول منازعه أحق بالصحة إن كان قوله صحيحًا؛ وأن قوله أحق بالفساد إن كان قول منازعه فاسدًا، لتنقطع بذلك حجة الباطل، فإن هذا أمر مهم، إذ كان المبطلون

يعارضون نصوص الكتاب والسنة بأقوالهم؛ فإن بيان فسادها أحد ركني الحق وأحد المطلوبين، فإن هؤلاء لو تركوا نصوص الأنبياء لهدت وكفت، ولكن صالوا عليها صول المحاربين لله ولرسوله، فإذا دفع صيالهم وبين ضلالهم كان ذلك من أعظم الجهاد في سبيل الله» اهـ(١).

**وقال ابن قيم الجوزية:** «أما جهاد الشيطان فمرتبتان:

**إحداهما:** جهاده علىٰ دفع ما يلقي إلىٰ العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

**الثانية:** جهاده علىٰ دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات» اهـ(٢).

ومن جهاد أهل الباطل ودفع صيالهم علىٰ أهل الحق - أهل السنة - أن يرد علىٰ شبهاتهم، وما يظنونه أدلة لهم علىٰ باطلهم، حتىٰ يحذرها المسلم.

**حكم كشف الشبهات:**

وإزالة الشبه التي شبه بها أعداء الملة وأعداء الدين فرض من فروض الكفايات في هذه الشريعة وواجب من الواجبات، لا بد أن يوجد من يقوم به وإلا أثم الجميع.

ومن أهم الموارد لهذا الموضوع كتب الردود، ولذا نجد أنها من أوائل

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٨١).

(٢) زاد المعاد (٣م١٠).

المصنفات، بل لا يكاد يوجد كتاب حديثي مبوب إلا وتضمن في أبوابه تراجم فيها الرد علىٰ المخالفين.

**معنى التوحيد:**

هو إفراد الله في صفاته وأفعاله وألوهيته.

فلا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون إلا هو سبحانه. وهذا معنىٰ إفراده في ربوبيته.

موصوف بصفات الكمال والجلال والجمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ، من الآية: ١١]، فتثبت له ما أثبته لنفسه سبحانه وتعالىٰ وأثبته له رسوله ﷺ، بلا تشبيه أو تكييف أو تعطيل، وهذا معنىٰ إفراده في صفاته.

لا تصرف العبادة لغيره سبحانه، فهو المستحق لها دون سواه، فلا مألوه بالعبادة إلا الله سبحانه وتعالىٰ، وهذا معنىٰ إفراده بالألوهية.

وعلىٰ هذا فالتوحيد، أقسام ثلاثة:

توحيد الربوبية.

وتوحيد الألوهية.

وتوحيد الأسماء والصفات.

ولا يكون التوحيد توحيدًا إلا بمجموعها، فهذه القسمة لا يقصد بها الغيرية، بمعنىٰ أن كل قسم غير الآخر، وأنه يحصل به التوحيد؛ لا، بل التوحيد المعتبر شرعًا عند الله هو مجموع هذه الأقسام، وإنما ذكر العلماء هذا التقسيم للتعليم والبيان والتفهيم.

**وبناء علىٰ ما تقدم؛ فإن المقصود بعنوان هذه المحاضرة:** إيراد ما يظنه بعض الناس حقًّا من أمور قد تلتبس وتشتبه عليهم، مع بعض ما يلقيه أهل البدع يطعنون به علىٰ ما يقرره علماء الإسلام في موضوع التوحيد.

**الجهات التي تقع منها الشبهة:**

**[والإحداث في الشريعة إنما يقع من الجهات التالية:**

إمّا من جهة الجهل.

وإمّا من جهة تحسين الظن بالعقل.

وإمّا من جهة اتباع الهوىٰ، في طلب الحق.

وهذا الحصر بحسب الاستقراء، من الكتاب والسنة، إلا أن الجهات الثلاث، قد تنفرد وقد تجتمع، فإذا اجتمعت فتارة تجتمع منها اثنتان، وتارة تجتمع الثلاث.

**فأمّا من جهة الجهل**: فتارة تتعلق بالأدوات التي بها تفهم المقاصد، وتارة تتعلق بالمقاصد.

**وأمّا من جهة تحسين الظن**: فتارة يشرك في التشريع مع الشرع، وتارة يقدِّم عليها، وهذان النوعان يرجعان إلىٰ نوع واحد.

**وأمّا من جهة اتباع الهوىٰ**: فمن شأنه أن يغلب الفهم حتىٰ يقلب صاحبه الأدلة، ويلوي أعناق النصوص، أو يستند إلىٰ غير دليل، وهذان النوعان يرجعان إلىٰ نوع واحد.

فالجميع أربعة أنواع، وهي:

١- الجهل بأدوات الفهم.

٢- والجهل بالمقاصد.

٣- وتحسين الظن بالعقل.

٤- واتباع الهوىٰ][1].

**ومنه تعلم أن الشبه على نوعين:**

**الأول**: ما كان منها من باب التباس الأمور بسبب الجهل، وتحسين الظن بالعقل، وهذا لا يسلم منه حتىٰ بعض طلاب الحق، فقد تلتبس علىٰ المسلم أمور

(١) الاعتصام (٢/ ٢٩٣).

غامضة بالنسبة إليه، لا يعلمها كثير من الناس، كما قال الرسول ﷺ: «**وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس**».

فأفاد حصول أمور تلتبس علىٰ كثير من الناس.

وأفاد أن بعض الناس وهم العلماء يعلمونها ويميزونها، فلا تشتبه عليهم.

وأفاد تجويز حصول ذلك من جهة مقدار علم الناس وفهمهم.

**الثاني**: ما كان من باب اتباع الهوىٰ والبدعة والإمعان فيه، حيث ترىٰ بعض الناس يريد الاعتراض علىٰ ما يقرره العلماء لأنه لا يعجبه ولا يرضيه، أو لا يوافق ما يعتقد أنه الحق، فيشغب بالاعتراض وإلقاء الشبه، إمعانًا في الباطل، غيًّا وعدونًا؛ وهذا مسلك أهل الضلال وأهل الباطل.

والغرض من بيان جهات الاشتباه أن لا يظن أن كل من وقع في هذه الشبه هو من أهل الأهواء، بل قد يقع المسلم الذي لا يتبع هواه فيها جهلًا، والواجب عليه إذا بلغه البيان أن يستفيد ويرجع عن الباطل الذي كان عليه، فإن الحق هو طلبة المسلم، وليس بين أحد والحق عداء إن شاء الله تعالىٰ!

**من علامات أصحاب الأهواء:**

**ولهذا الصنف الثاني علامات:**

**منها**: أن لا يذعن للحق والدليل إذا ما استبان.

**ومنها**: أن يغالط الحق وأهله.

**ومنها**: أن لا يجري علىٰ سنن السلف الصالح في الاستدلال.

**ومنها**: أنه لا يلتزم بأدب الحوار.

**ومنها**: أن مقصوده إبطال كلام مخالفه لا الوصول إلىٰ الحق والقبول به.

**ومنها**: الطعن في العلماء أهل الحديث والأثر.

**ومنها**: ترك الرجوع إليهم بسبب طعنه فيهم.

## المحور الثاني
## في ضوابط بحث هذه الموضوعات

بحث هذه المسائل وعرضها له عند العلماء ضوابط لابد من مراعاتها، وذلك أن الشبه في الدين كالأمراض والأوبئة، لا يجوز نشرها بين الناس، حتىٰ لا يصبح الناس مرضىٰ القلوب! إذ الشبه من أمراض القلوب!

**وقد جاء عن بعض السلف:** «اهرب من صاحب البدعة كهربك ممن به جرب»، ومعلوم أن الشبهة بريد البدعة، والبدعة بريد الكفر!

**ومن هذه الضوابط:**

١) أن لا يورد من الشبه إلا ما هو بين الناس، فتتكلم وتعالج الواقع، وإلا كان في ذلك المزيد من إحداث البلبلة والفتن التي لا تنبغي بين المسلمين. وهذا يدل عليه منهج السلف عمومًا، فإذا كانوا يكرهون الكلام في المسائل التي لم تحدث وتنزل فمن باب أولىٰ الشبه والبدع. قال ابن رجب ~ عند كلامه علىٰ حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم**» رواه البخاري ومسلم، قال: «كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها ولا يجيبون عن ذلك:

**قال عمرو بن مرة:** خرج عمر علىٰ الناس فقال: أحرج عليكم أن تسألونا عن ما لم يكن فإن لنا فيما كان شغلًا.

**وعن ابن عمر** رضي الله عنهما **قال:** لا تسألوا عما لم يكن فإني سمعت عمر ﷺ لعن السائل عما لم يكن.

**وكان زيد بن ثابت إذا سئل عن شيء يقول:** كان هذا؟ فإن قالوا: لا. قال: دعوه حتىٰ يكون.

**وقال مسروق:** سألت أبي بن كعب عن شيء فقال: أكان بعد؟ فقلت: لا. فقال: أجمنا - يعني أرحنا - حتىٰ يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.

**وقال الشعبي:** سئل عمار عن مسألة فقال: هل كان هذا بعد؟ قالوا: لا. قال: فدعونا حتىٰ يكون فإذا كان تجشمناه لكم.

**وعن الصلت بن راشد قال:** سألت طاوسًا عن شيء فانتهرني، فقال: أكان هذا؟ قلت: نعم. قال: آلله. قلت: آلله. فقال: إن أصحابنا أخبرونا عن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال: يا أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهبكم هاهنا وهاهنا فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سدد - أو قال: وفق -» اهـ.

٢) أن لا يتوسع في شرح الشبهة وبسطها في المجلس، فقد تعلق في قلوب بعض الحاضرين، ويأت الرد ضعيفًا لا يزيلها. ولذلك نهوا عن مجالستهم بله مخاطبتهم والسماع لكلامهم:

**عن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال:** لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب»[١].

**عن الحسن قال:** «لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك»[٢].

**عن سفيان الثوري قال:** «من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدىٰ ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره.

---

(١) الشريعة للآجري/ الشاملة/ ص٦٠.

(٢) كتاب فيه ما جاء في البدع لابن وضاح / تحقيق بدر البدر/ ص١٠٤، وبنحوه ص١١٠.

وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار.

**وإما أن يقول:** والله ما أبالي ما تكلموه، وإني واثق بنفسي، فمن أمن الله علىٰ دينه طرفة عين سلبه إياه»[(١)].

**عن أبي قلابة ~ قال:** «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»[(٢)].

**والاستماع إلى أهل البدع خطر:**

ويؤيد ما تقدم أن التأثر بأمثال هؤلاء في طريقة التفكير وأسلوب التناول ومنهجية النظر بمجرده خطر على المسلم، لذلك حذر العلماء من مجالسة أهل الأهواء، وتلقي العلم عنهم، والقراءة في كتبهم. ومن المعلوم أنه ليس كل ما يقوله صاحب البدعة خطأ، بل لديه صواب، وقد يكون لديه من الصواب الشيء الكثير، ومع هذا فالإجماع منعقد على التحذير من الاستماع والمجالسة لأهل البدع والأهواء، حتى ولو لم يأخذوا شيئاً من صوابهم أو خطئهم، ولهذا حذر السلف من مجالسة أصحاب البدع والتلقي عنهم!

ومن هذا الباب ما ذكر عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، في مجالسة المحاسبي:

(١) كتاب فيه ما جاء في البدع لابن وضاح / تحقيق بدر البدر/ ص١٠٤.

(٢) أخرجه الدارمي في باب اجتناب أهل الأهواء وأهل البدع والخصومة تحت رقم (٣٩٧)، وفي كتاب السنة لعبد الله ابن أحمد (١/ ١٣٧) تحت رقم (٩٩)، والنهي عن البدع لابن وضاح ص٩٩، والشريعة (١/ ٤٣٥)، والإبانة لابن بطة (٢/ ٤٣٥) وشرح السنة للالكائي (١/ ١٣٤).

قال إسماعيل بن إسحاق السراج : قال لي أحمد بـن حنبـل: هـل تستطيع أن تريني الحارث المحاسبي إذا جاء منزلك؟

فقلت : نعم! وفرحت بذلك ثم ذهبت إلى الحارث فقلت لـه: إني أحب أن تحضر الليلة عندي أنت وأصحابك.

فقال : إنهم كثير فأحضر لهم التمر والكسب فلما كان بين العشاءين جاؤوا وكان الإمام أحمد قد سبقهم فجلس في غرفة بحيث يـراهم ويسمع كلامهم ولا يرونه فلما صلوا العشاء الآخرة لم يصلوا بعـدها شيئا بل جاؤوا بين يدي الحارث سكوتا مطرقي الرؤوس كأنما علـى رؤوسهم الطير حتى إذا كان قريبا من نصف الليل سأله رجل مـسألة فشرع الحارث يتكلم عليها وعلى ما يتعلق بها مـن الزهـد والـورع والوعظ فجعل هذا يبكي وهذا يئن وهذا يزعق.

قال : فصعدت إلى الإمام أحمد إلى الغرفة فإذا هو يبكي حتى كـاد يغشى عليه ثم لم يزالوا كذلك حتى الصباح فلما أرادوا الانصراف قلت: كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبدالله؟

فقال : ما رأيت أحدا يتكلم في الزهد مثل هذا الرجل وما رأيت مثل هؤلاء ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمع بهم.

قال البيهقي : يحتمل أنه كره له صحبتهم لأن الحارث بن أسد وإن كان زاهدا فإنه كان عنده شيء من الكلام وكان أحمد يكره ذلـك أو

كره له صحبتهم من أجل أنه لا يطيق سلوك طريقتهم وما هم عليه من الزهد والورع .

قلت (القائل ابن كثير رحمه الله): بل إنما كره ذلك لأن في كلامهم من التقشف وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع والتدقيق والمحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أمر ولهذا لما وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث المسمى بالرعاية قال: هذا بدعة. ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب: عليك بما كان عليه مالك والثوري والأوزاعي والليث ودع عنك هذا فإنه بدعة"[١].

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد رحمه الله قال: "أدركنا أهل الفضل والفقه من خيار أوليّة الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب والأخذ بالرأي أشد العيب، وينهوننا عن لقائهم، ومجالستهم، وحذرونا مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرونا أنهم على ضلال، وتحريف لكتاب الله وسنن رسوله ﷺ ، وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل، والتنقيب عن الأمور، وزجر عن ذلك، وحذره المسلمين في غير موضع حتى كان من قول النبي ﷺ في كراهية ذلك أن قال: "ذروني ما تركتكم، فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما

(١) البداية والنهاية (١٠/٣٣٩-٣٣٠). وذلك في ترجمته لأحمد بن حنبل في حوليات سنة ٢٤١هـ

استطعتم"[١].

وقال ابن قدامة (ت٦٢٠هـــ) رحمه الله: "ومـــن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظـــر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم،وكل محدثة في الدين بدعة "[٢].

وقد كانوا يكرهون إيراد علل الحديث والتوسع فيها أمام العامة لما يخشىٰ من تأثرهم بها، قال ابن رجب ~: «وقد ذكر أبو داود في رسالته إلىٰ أهل مكة: «أنه ضرر علىٰ العامة أن يكشف لهم كل ما كان من هذا الباب، فيما مضىٰ من عيوب الحديث، لأن علم العامة يقصر عن مثل هذا».

وهذا كما قال أبو داود، فإن العامة تقصر أفهامهم عن مثل ذلك، وربما ساء ظنهم بالحديث جملة إذا سمعوا ذلك.

وقد تسلط كثير ممن يطعن في أهل الحديث عليهم بذكر شيء من هذه العلل، وكان مقصوده بذلك الطعن في الحديث جملة والتشكيك فيه، أو الطعن في غير حديث أهل الحجاز، كما فعله حسين الكرابيسي في كتابه الذي سماه بـ«كتاب المدلسين»، وقد ذكر كتابه هذا للإمام أحمد فذمه ذمًّا شديدًا، وكذلك أنكره عليه أبو ثور وغيره من العلماء.

**قال المروزي:** «مضيت إلىٰ الكرابيسي وهو إذ ذاك مستور يذب عن السنة

(١) الإبانة لابن بطة ( ٥٣٢/٢ ) . بواسطة كتاب: "إجماع العلماء على هجر أهل الأهواء" لفـــضيلة الشيخ الأخ: خالد بن ضحوي جزاه الله خيراً.

(٢) لمعة الاعتقاد ( ص : ٣٣ ) . بواسطة كتاب: "إجماع العلماء على هجر أهل الأهـــواء" لفـــضيلة الشيخ الأخ: خالد بن ضحوي جزاه الله خيراً.

ويظهر نصرة أبي عبد الله، فقلت له: إن «كتاب المدلسين» يريدون أن يعرضوه علىٰ أبي عبد الله، فأظهر أنك قد ندمت حتىٰ أخبر أبا عبد الله. فقال لي: «إن أبا عبد الله رجل صالح، مثله يوفق لإصابة الحق، وقد رضيت أن يعرض كتابي عليه، وقال: قد سألني أبو ثور وابن عقيل وحبيش أن أضرب علىٰ هذا الكتاب، فأبيت عليهم، وقلت: بل أزيد فيه، ولجّ في ذلك وأبىٰ أن يرجع عنه.

فجيء بالكتاب إلىٰ أبي عبد الله وهو لا يدري من وضع الكتاب، وكان في الكتاب الطعن علىٰ الأعمش والنصرة للحسن بن صالح.

**وكان في الكتاب**: «إن قلت: إن الحسن بن صالح كان يرىٰ رأي الخوارج فهذا ابن الزبير قد خرج»[1].

**فلما قرئ علىٰ أبي عبد الله قال**: «هذا قد جمع للمخالفين ما لم يحسنوا أن يحتجوا

---

(١) ابن الزبير رضي الله عنه لم يخرج علىٰ عبد الملك بن مروان؛ وإنما استقل بولايته في زمن لم يوجد فيه من يلي الأمر، ويحدثنا عن هذا ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٢٢-٥٢٤) فيقول: «إن ابن الزبير لما جرىٰ بينه وبين يزيد ما جرىٰ من الفتنة واتبعه من اتبعه من أهل مكة والحجاز وغيرهما، وكان إظهاره طلب الأمر لنفسه بعد موت يزيد، فإنه حينئذ تسمىٰ بأمير المؤمنين وبايعه عامة أهل الأمصار إلا أهل الشام؛ ولهذا إنما تعد ولايته من بعد موت يزيد، وأما في حياة يزيد فإنه امتنع عن مبايعته أوَّلًا، ثم بذل المبايعة له فلم يرض يزيد إلا بأن يأتيه أسيرًا، فجرت بينهما فتنة وأرسل إليه يزيد من حاصره بمكة، فمات يزيد وهو محصور، فلما مات يزيد، بايع ابن الزبير طائفة من أهل الشام والعراق وغيرهم. وتولىٰ بعد يزيد ابنه معاوية بن يزيد ولم تطل أيامه، بل أقام أربعين يومًا أو نحوها وكان فيه صلاح وزهد ولم يستخلف أحدًا؛ فتأمر بعده مروان بن الحكم علىٰ الشام ولم تطل أيامه. ثم تأمر بعده ابنه عبد الملك وسار إلىٰ مصعب بن الزبير نائب أخيه علىٰ العراق فقتله، حتىٰ ملك العراق وأرسل الحجاج إلىٰ ابن الزبير فحاصره وقاتله حتىٰ قتل ابن الزبير، واستوثق الأمر لعبد الملك ثم لأولاده من بعده، وفتح في أيامه بخارىٰ وغيرها من بلاد ما وراء النهر، فتحها قتيبة بن مسلم نائب الحجاج بن يوسف الذي كان نائب عبد الملك بن مروان علىٰ العراق مع ما كان فيه من الظلم، وقاتل المسلمون ملك الترك خاقان وهزموه وأسروا أولاده، وفتحوا أيضًا بلاد السند، وفتحوا أيضًا بلاد الأندلس، وغزوا القسطنطينية وحاصروها مدة، وكانت لهم الغزوات الشاتية والصائفة» اهـ.

به، حذروا عن هذا» ونهىٰ عنه.

وقد تسلط بهذا الكتاب طوائف من أهل البدع من المعتزلة وغيرهم في الطعن علىٰ أهل الحديث، كابن عباد الصاحب ونحوه، وكذلك بعض أهل الحديث ينقل منه دسائس - إما أنه يخفىٰ عليه أمرها، أو لا يخفىٰ عليه - في الطعن في الأعمش، ونحوه، كيعقوب الفسوي، وغيره.

وأما أهل العلم والمعرفة والسنة والجماعة فإنما يذكرون علل الحديث نصيحة للدين وحفظًا لسنة النبي ﷺ، وصيانة لها، وتمييزًا مما يدخل علىٰ رواتها من الغلط والسهو والوهم، ولا يوجب ذلك عندهم طعنًا في غير الأحاديث المعللة، بل تقول بذلك الأحاديث السليمة عندهم لبراءتها من العلل وسلامتها من الآفات، فهؤلاء هم العارفون بسنة رسول الله ﷺ حقًّا، وهم النقاد الجهابذة الذين ينتقدون الحديث انتقاد الصيرفي الحاذق للنقد البهرج من الخالص، وانتقاد الجوهري الحاذق للجوهر مما دلس به» اهـ[1].

ومن ذلك إنكار أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي رحمهما الله تصنيفه في الرد على المعتزلة، فقال الحارث: الرد على البدعة فرض فقال أحمد: نعم، ولكن حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها، فيم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه، ولا يلتفت إلى الجواب أو ينظر في الجواب ولا يفهم كنه؟[2].

٣) أن لا تذكر الشبهة إلا ومعها الرد، بلا إحالة، وقد انتقد بعض العلماء تفسير الرازي بأنه يأتي بالشبهة نقدًا وبالرد نسيئة.

---

(١) شرح علل الترمذي / العتر/ (٢/ ٨٠٦-٨٠٨).
(٢) المنقذ من الضلال / الشاملة / ص٨.

٤) من منهجهم إذا انتشرت البدعة، وكان لأصحابها شبهًا تعلقوا فيها بآيات وأحاديث، أن يهتموا بالرد والبيان، دون الدخول في القضايا العقلية البحتة، وهذا منهم لأن من وظيفة العلماء بيان القرآن والسنة وإزالة شبه الاستدلال الباطل عنها، وتعظيمًا وتوقيرًا لما أوجب الله تعظيمه وتوقيره، وتزهيدًا للناس عن الخوض في الدين بالطرق العقلية والمناهج الكلامية، فإن احتاجوا لذلك خاضوه ولكن بقدر.

٥) من منهج السلف الصالح الاهتمام بالكتب التي تبين المنهج العام، ومن خلال بيانهم للمنهج العام يشيرون إلىٰ رد الشبه، في تراجم الأبواب، كما تراه بوضوح عند البخاري في صحيحه، أو بإفراد موضوع بجمع ما فيه من الروايات والأحاديث، وهذا شأن الكثير من الأجزاء المفردة لأهل الحديث، فلما حدثت الشبه في القدر أفرد هذا الموضوع بالتصنيف، ولما حدثت الشبه في النبيذ أفرد موضوع الأشربة بالتصنيف، ولما حدثت الشبه في مسألة خلق أفعال العباد أفردت بالتصنيف، ... وهكذا.

**وهذا يبين أن لرد الشبه في تصانيف السلف ثلاثة طرق:**

**الأول**: من خلال إفرادها بالتصنيف المباشر عنها. كالرد علىٰ الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل، وكالرد علىٰ بشر المريسي، وكالرد علىٰ المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد للبخاري.

**الثاني**: من خلال مصنفاتهم العامة في بيان المنهج العام، كالمصنفات والموطآت، والجوامع والسنن، فهي تشتمل علىٰ تراجم وأبواب في رد الكثير من الشبه.

**الثالث**: من خلال جمع المرويات في الموضوع وسردها.

وقد يجتمع في بعض المصنفات الرد بهذه الطرق جميعها أو ببعضها كما تراه في

كتاب الشريعة للآجري، وكتاب اللالكائي[١].

* * *

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة، الرياض. الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

## المحور الثالث
## في الكلام عن بعض الشبه المثارة حول التوحيد اليوم

أذكر في هذا المحور بعض الشبه الشائعة اليوم، والجواب عليها، من كلام أهل العلم، بسبك عباراتهم، رحمهم الله، مع التنبيه أن استيعاب الشبه، مما يعسر ويحتاج إلىٰ جهد كثير، ويطول عن أن تستوعبه هذه المحاضرة والله الموفق.

### الشبهة الأولى

تقسيم التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام بدعة.

**والجواب:**

[أن دعوة الرسل جميعهم، هي دعوة إلىٰ توحيد الله والإخلاص له، وأن الأنبياء جميعًا، والمرسلين كلهم دعوا إلىٰ توحيد الله والإخلاص له، والإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه سبحانه واحد في ربوبيته، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في استحقاقه العبادة دون كل ما سواه جل وعلا، فلا يستحقها غيره لا نبي ولا ملك ولا صالح ولا غيرهم من المخلوقات، فالعبادة حق الله جل وعلا، ولها خلق الخلق - سبحانه وتعالىٰ - وبها أرسل الرسل، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

لعبادة الله وتوحيده خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، كما قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال سبحانه: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

وقد أبان الله سبحانه في كتابه العزيز من آياته ومخلوقاته ما يدل علىٰ قدرته العظيمة، وألوهيته وربوبيته، وأنه المستحق للعبادة سبحانه وتعالىٰ.

ومن تدبر كتاب الله ومخلوقاته وجد من الآيات المتلوة والحسية والأخبار المنقولة، ما يدل علىٰ أنه سبحانه المستحق للعبادة جل وعلا، وأن الرسل كلهم بلغوا ذلك ودعوا إليه، وأن الشرك الذي وقع في قوم نوح لم يزل في الناس إلىٰ يومنا هذا، فلم يزل في الناس من يعبد الأصنام والأوثان، ويغلو في الصالحين والأنبياء، يعبدهم مع الله، كما هو معلوم عند كل من نظر في أخبار العالم من عهد نوح إلىٰ يومنا هذا.

وبما ذكرنا من كتاب الله عز وجل، ومن كلام رسوله محمد عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم، ومن واقع العالم يتضح أن التوحيد أقسام وقد عرف ذلك أهل العلم بالاستقراء لكتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

**فهو أقسام ثلاثة:**

**الأول**: توحيد الربوبية، وهو الإيمان بأن الله عز وجل واحد في أفعاله، وخلقه وتدبيره لعباده، وأنه المتصرف في عباده كما شاء سبحانه وتعالىٰ، بعلمه وقدرته جل وعلا.

**والثاني**: توحيد الأسماء والصفات، وأنه سبحانه وتعالىٰ موصوف بالأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله جل وعلا، وأنه لا شبيه له ولا نظير له، ولا ند له عز وجل.

**الثالث**: توحيد العبادة وأنه يستحق سبحانه وتعالىٰ أن يعبد وحده لا شريك له، دون ما سواه جل وعلا.

**وإن شئت قلت**: توحيد الله سبحانه وتعالىٰ هو الإيمان بأنه رب الجميع وخالق الجميع، ورازق الجميع، وأنه لا شريك له في جميع أفعاله سبحانه وتعالىٰ،

لا شريك له في خلقه ورزقه للعباد، لا شريك له في تدبير الأمور، وهو المالك لكل شيء جل وعلا، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ هو المالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء جل وعلا، له الأمر كله، وله الخلق كله، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ هو الموصوف بصفات الكمال، والمسمىٰ بالأسماء الحسنىٰ، فلا شبيه له من خلقه في شيء، بل هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو المستحق أن يعبد ويخص بالعبادة من الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والصلاة والصوم والذبح والنذر، وغير ذلك.

هذا كله داخل في مسمىٰ التوحيد، توحيد الله سبحانه وتعالىٰ، توحيد الأنبياء والمرسلين؛ وهو التوحيد الذي جاء به خاتمهم وسيدهم وإمامهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

**ويمكن أن نأتي بعبارة أخرىٰ فنقول:** توحيد الله الذي جاءت به الرسل جميعهم ينقسم إلىٰ قسمين:

**القسم الأول:** توحيد في المعرفة والإثبات: ومعناه الإيمان بأسماء الله وصفاته وذاته جل وعلا، وخلقه للعباد ورزقه لهم، وتدبيره لشئونهم سبحانه وتعالىٰ، فتؤمن وتصدق بأن الله سبحانه واحد في ربوبيته، واحد في أسمائه وصفاته وتدبيره لعباده، وهو الخالق لهم والرازق لهم والموصوف بصفات الكمال المنزه عن النقص والعيب لا شريك له في ذلك، ولا شبيه له، ولا ند له جل وعلا.

**والقسم الثاني:** توحيد القصد والطلب: وهو إفراد الله سبحانه في قصدك وطلبك وصلاتك وصومك، وسائر عباداتك، لا تقصد بها إلا وجهه جل وعلا، وهكذا صدقاتك، وسائر أعمالك التي تتقرب بها، لا تقصد بها إلا وجهه جل

وعلا، فلا تدعو إلا إياه، ولا تنذر إلا له، ولا تتقرب بأنواع القربات إلا له سبحانه، ولا تطلب شفاء المرضىٰ والنصر علىٰ الأعداء إلا منه عز وجل، توحده في كل ذلك؛ فهذه أنواع التوحيد.

لك أن تعبر عنها بأنها نوعان.

ولك أن تعبر عنها بأنها ثلاثة أنواع.

ولك أن تعبر عنها بنوع واحد كما تقدم فيما ذكرنا آنفًا.

ولا مشاحة في الاصطلاح والتعبير، وإنما المقصود أن نعرف ما هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، ووقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم، وهو توحيد العبادة][1].

والمقصود أن هذا التقسيم للتعليم والتفهيم، ولا يقصد بالقسمة أن كل قسم بمفرده توحيدًا معتبرًا عند الله تعالىٰ.

ومعلوم أن القسمة للتعليم مما جرىٰ عليه الناس؛ مثل قولهم: الإنسان روح وجسد، أو قولهم: الماء أوكسجين وهيدروجين؛ فهي قسمة لبيان ما يتكون منه التوحيد، للتعليم والتفهيم، فلا يراد أن القسم الواحد من هذه الأقسام يحصل به التوحيد الشرعي الذي أرسل الله به الرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

* * *

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة لابن باز (٢/ ٦٧-٧١).

## الشبهة الثانية

ظن بعضهم أن التوحيد هو تقرير أن الله موجود، وأن هذا هو الإيمان، فالعلم يدعو إلىٰ الإيمان، والله يتجلىٰ في عصر العلم، بمعنىٰ أن التوحيد المطلوب هو الإيمان بوجود الله. فكل من آمن بوجود الله فهو موحد!

**والجواب:**

تقرير وجود الله، وأن الله هو المدبر للكون، وأنه هو الخالق والرازق هذا حق، وهو من التوحيد، لكن هذا المعنىٰ بمجرده، أعني: أن ينتهي الأمر إلىٰ مجرد تقرير أن الله موجود، وأنه المدبر للكون، سبحانه وتعالىٰ، ليس هذا هو التوحيد الشرعي، الذي أرسل الله عز وجل لتقريره الرسل، وبعث الأنبياء للدعوة إليه، فهذا المعنىٰ من التوحيد، وهو يشتمل علىٰ التوحيد العلمي، لكنهم [لم يدخلوا فيه توحيد الألوهية وهو أن الله تعالىٰ: واحد في ألوهيته لا شريك له فيفرد وحده بالعبادة، مع أن هذا النوع من التوحيد هو الذي من أجله خلق الجن والإنس لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

**ومن أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب لقوله تعالىٰ:** ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

**وقد قام الرسل عليهم الصلاة والسلام بذلك يدعون قومهم:** ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

[الأعراف: ٦٥]

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾.

[الأعراف: ٨٥]

**أي**: ما لكم من معبود حق غير الله، فجميع الآلهة سواه باطلة كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

ومن أجله قامت المعارك الكلامية، والقتالية بين الرسل وأقوامهم المكذبين لهم، كما قال الله تعالىٰ عن قوم نوح: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [هود: ٣٢].

**وقال عن قوم هود**: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: ٥٣].

**وقال في إبراهيم وقومه**: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٩].

**وقال عن المكذبين لمحمد ﷺ**: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء: ٣٦].

وقال: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٤-٥].

والمهم أن هذا التوحيد الذي هذا شأنه قد أغفله عامة المتكلمين الذين يتكلمون في أنواع التوحيد، وهو أحد وجوه غلطهم في مسمىٰ التوحيد][(١)].

[أما كونه سبحانه رب الجميع وخالق الخلق ورازقهم، وأنه كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه لا شبيه له، ولا ند له، ولا مثيل له، فهذا لم يقع فيه الخلاف بين الرسل والأمم، بل جميع المشركين من قريش وغيرهم مقرون به، وما وقع من إنكار فرعون وادعائه الربوبية فمكابرة، يعلم في نفسه أنه مبطل، كما قال له موسىٰ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾، وقال سبحانه فيه وفي أمثاله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وهكذا ما ادعته الثانوية من إلهية النور والظلمة، فمكابرة أيضًا، وهم مع ذلك لم يقولوا: إنهما متساويان. فليس في العالم من يقول: إن هناك إلهين متساويين في التصرف والتدبير. وأما إنكار الملاحدة لرب العالمين كليًّا، وإنكارهم للآخرة، فليس هذا بمستغرب من أعداء الله، لفساد عقولهم بسبب استيلاء الشياطين عليهم حتىٰ اجتالتهم عن فطرة الله التي فطر عليها الناس، وهؤلاء الملاحدة، وإن أنكروا بألسنتهم فقلوبهم تقر بذلك، كما أقر بذلك الجمادات، وكل شيء كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ وقال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج، من الآية: ١٨].

---

(١) تقريب التدمرية لابن عثيمين ص١٣٠-١٣١. وانظر مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٣/ ٩٧ وما بعدها).

**والمقصود**: أن من أنكر رب العالمين من الكفرة المجرمين، فهو في الحقيقة مكابر لفطرته وعقله، فإن الفطرة والعقل يشهدان بوجود رب متصرف في الكون، مدبر للعباد، لا شبيه له، ولا شريك له، ولا ند له، سبحانه وتعالىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، ولهذا قلنا: إن المشركين قد أقروا بتوحيد الربوبية، والأسماء والصفات ولم ينكروا ذلك، لأنهم يعلمون أن الله جل وعلا خالق العباد ورازقهم، ومدبر أمورهم، منزل المطر، المحيي المميت، الرزاق للعباد، وغير ذلك كما تقدم بيانه][1].

❊ ❊ ❊

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة لابن باز (٢/ ٧١-٧٢).

## الشبهة الثالثة

ظن بعض الناس أن التوحيد في القلب، فلا يراعي ما ينافيه أصلًا أو كمالًا من الألفاظ.

**والجواب:**

[لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا.

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر مرتد معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: إن هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه حق، ولكننا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالىٰ: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [التوبة: ٩] وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦].

فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهرًا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهذه المسألة مسألة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترىٰ من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد، وترىٰ من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألته عما يعتقده بقلبه فإذا هو لا يعرفه.

**ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:**

**أولاهما:** قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٦] فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ، كفروا بسبب كلمة

قالوها علىٰ وجه اللعب والمزح، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفًا من نقص مالٍ، أو جاهٍ أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

**والآية الثانية**: قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل: ١٠٦، ١٠٧] فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنًّا بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفًا أو مداراة، أو مشحةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعل علىٰ وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره.

**فالآية تدل على هذا من وجهين:**

**الأول**: قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾، فلم يستثن الله تعالىٰ إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا علىٰ الكلام أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها.

**والثاني**: قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل والبغض للدين ومحبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا فآثره علىٰ الدين][1].

وقد أنكر الرسول ﷺ علىٰ صحابته ألفاظًا صدرت منهم، مع كونهم صحابته وأهل توحيد، فلم يمنع ذلك من الإنكار عليهم.

عن قتيلة، أن يهوديًّا أتىٰ النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «**ورب الكعبة**»، وأن يقولوا: «**ما شاء ثم شئت**» رواه النسائي وصححه.

(١) كشف الشبهات.

**وله أيضًا عن ابن عباس** ﭬ: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟ ما شاء الله وحده**».

**ولابن ماجه عن الطفيل - أخي عائشة لأمها - قال:** رأيت كأني أتيت علىٰ نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارىٰ فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته. قال: «هل أخبرت بها أحدًا؟» قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أما بعد؛ فإن طفيلًا رأىٰ رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**».

**وللبخاري ومسلم عن زيد بن خالد** ﭬ **قال:** صلىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية علىٰ إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**».

❊ ❊ ❊

## الشبهة الرابعة

تهوين بعض الناس من شرك القبور والتماثيل والصور، ووصفه بأنه شرك ساذج.

**الجواب:**

هذه مغالطة، فإن الشرك جميعه شرك، بأي صورة كان، ينبغي للمسلم أن يحذر منه، ويحذر الناس من الوقوع فيه، وكل صور الشرك والكفر مما يعظم أمرها ويخوف الناس في الوقوع فيه.

والواقع أن الشرك بالقبور والأصنام والتماثيل والصور من الشرك الذي لا زال إلىٰ اليوم موجودًا، فالتهوين به تهوين بتوحيد رب العالمين.

وليتق الله قائل هذه الكلمة، فهل يقول قائل: أن الأنبياء كانوا يشتغلون مع أقوامهم في رد هذا الشرك الساذج، وأن هؤلاء الدعاة اشتغلوا برد الشرك الحقيقي؟!

سبحانك ربي ما أظلم هذه الكلمة!

❊ ❊ ❊

## الشبهة الخامسة

تفسير بعضهم لشهادة: «أن لا إله إلا الله» بـ(لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله).

**والجواب:**

**[إن هذا خطأ من وجهين:**

**الأول**: أن هذا الذي قرروه قد أقر به المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ فإنهم لم يجعلوا لله شريكًا في أفعاله كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧].

ومع هذا لم يكونوا موحدين بل هم مشركون بدلالة الكتاب والسنة والإجماع المعلوم بالضرورة من دين الإسلام؛ لكونهم أنكروا توحيد الألوهية: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥].

**وعاب عليهم شركهم مع إقرارهم بربوبيته سبحانه**: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

ولهذا قاتلهم النبي ﷺ مستبيحًا دماءهم وأموالهم، وسبىٰ ذراريهم ونسائهم.

**الثاني**: أن تفسيرهم «لا إله إلا الله» بهذا التفسير الذي ذكروه أي: أنه لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله، يقتضي أن من أقر بأن الله وحده هو القادر علىٰ الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله وعصم دمه وماله.

ومعلوم أن تفسيرها بهذا المعنىٰ باطل مخالف لما عرفه المسلمون منها فإن تفسيرها الصحيح: أن لا معبود حق إلا الله، هذا هو الذي يعرفه المسلمون من معناها، بل والمشركون ألا ترىٰ إلىٰ قول الله تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦]، وكانوا لا يستكبرون عن الإقرار بقلوبهم وألسنتهم بأن الله هو الخالق وحده ولا يدعون أن آلهتهم تخلق شيئًا فتبين بذلك أن المشركين أعلم وأفقه بمعنىٰ لا إله إلا الله من هؤلاء المتكلمين، وأن غاية ما يقرره هؤلاء المتكلمون من التوحيد توحيد الربوبية الذي لا يخلص الإنسان من الشرك، ولا يعصم به دمه وماله، ولا يسلم به من الخلود في النار.

وقد سلك هذا المسلك طوائف من أهل التصوف المنتسبين إلىٰ المعرفة والتحقيق والتوحيد، فكان غاية ما عندهم من التوحيد أن يشهد المرء أن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالقه لا سيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته، ودخل في فناء توحيد الربوبية بحيث يفنىٰ من لم يكن ويبقىٰ من لم يزل.

ومعلوم أن هذه الغاية هي ما أقر به المشركون من التوحيد وهي غاية لا يكون بها الرجل مسلمًا، فضلًا عن أن يكون من أولياء الله تعالىٰ وسادة خلقه][1].

❊ ❊ ❊

(١) تقريب التدمرية ص١٣٣-١٣٤. وانظر مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٣/ ١٠١ وما بعدها)

## الشبهة السادسة

إخلالهم بفهم كلمة التوحيد، فيما يتعلق بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، وغلوا في ذلك، حتىٰ نسبوا إليه من الأمور ما لا يليق إلا بالله، فظنوا أن ذلك من تحقيق الحب والتصديق بالرسول ﷺ.

**والجواب:**

[حق الرسول ﷺ علينا أن نؤمن به ونطيعه ونتبعه، ونرضيه ونحبه ونسلم لحكمه، وأمثال ذلك، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

**وقال تعالىٰ:** ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

**وقال تعالىٰ:** ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

**وقال تعالىٰ:** ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

**وقال تعالىٰ:** ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وأمثال ذلك][(١)].

ومما أمرنا به الرسول ﷺ ترك الغلو فيه:

**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ**

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٣/ ١٠٩-١١٠).

**وَرَسُولُهُ**»[١].

فليس من تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ الغلو فيه، ووصفه وإطراؤه بما هو مما لا يجوز إلا لله تعالىٰ.

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿ ﴾، حديث رقم (٣٤٤٥).

## الشبهة السابعة

ظن بعضهم أن حكم التوحيد يثبت بدون عمل، فهو يستحق الجنة وإن لم يعمل.

**والجواب:**

باب الجنة لا يفتح إلا بمفتاح وهو بشهادة الإخلاص والتوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وللمفتاح أسنان، وأسنانه الأعمال، وهي شرائع الإسلام؛ فإن جئت بالمفتاح بدون أعمال لا يفتح الباب!

**بوب البخاري في «صحيحه» في كتاب الجنائز:** «بَاب مَا جَاءَ فِي الْجَنَائِزِ وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ».

ولذلك جاءت الأحاديث في فضل شهادة التوحيد مقيدة بالإخلاص والصدق، وذلك لأن ما وقر في القلب صدقه العمل، فهناك تلازم بين الظاهر والباطن، فلابد لمن أراد أن تنفعه هذه الشهادة أن يكون صادقًا مخلصًا، وإذا كان كذلك فإن العمل يصدق ما في القلب!

**عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ:** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَىٰ الرَّحْلِ قَالَ: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ!**» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**يَا مُعَاذُ!**» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ

فَيَسْتَبْشِرُوا؟! قَالَ: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا[(١)].

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ:** قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ – أَوْ: نَفْسِه –**»[(٢)].

فكلمة التوحيد تنفع صاحبها إذا كان صادقًا مخلصًا، وإذا كان كذلك فإن العمل بشرائع الإسلام يصدقه ولابد.

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم، حديث رقم (١١٤) ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة، حديث رقم (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الحرص علىٰ الحديث، حديث رقم (٩٩).

# الخاتمة

[فالواجب عليك يا عبد الله إذا عرفت ما تقدم أن تبذل وسعك في بيان هذا الأصل الأصيل، وهو توحيد الله رب العالمين، الذي هو حق الله علىٰ العبيد، ونشره بين الناس، وإيضاحه للخلق، حتىٰ يعلمه من جهله، وحتىٰ يعبد الله وحده من أشرك به وخالف أمره، وحتىٰ تكون بذلك قد اتبعت الرسل وسرت علىٰ منهاجهم في الدعوة إلىٰ الله أداء للأمانة التي حملتها، فيكون لك مثل أجور من هداه الله علىٰ يديك إلىٰ يوم القيامة، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ وقال جل وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله**» رواه مسلم في «صحيحه». وقال لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلىٰ خيبر: «**فوالله لئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**» متفق علىٰ صحته.

هذا وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعًا للفقه في دينه والاستقامة علىٰ ما يرضيه، وأن يعيذنا جميعًا من أسباب غضبه، ومن مضلات الفتن، كما أسأله سبحانه أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين ويولي عليهم خيارهم إنه سبحانه وتعالىٰ جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ

آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين][1].

* * *

(١) مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة لابن باز (٢/ ٧٢-٧٣).

T

❊ ❊ ❊




للصف والمراجعة والتحقيق

القاهرة – ت: ٤٤٦٤٠٧٦٦ – جوال: ٠١٠٧٢١٩٥٤٣

البريد الإلكتروني: EBADALRHMAN_SFEF@YAHOO.COM